المثنويان الفارسي و العربي
دراسة في الصلة بينهما

د.عمار جيدل*

الجزء الأول

اشتهر كتاب المثنوي في الأدب الفارسي-في شقه التربوي الصوفي- فعرف بالمثنوي الفارسي نسبة إلى اللسان الذي دونت به تلك السانحات، وأصبح عنوان الكتاب (الديوان) علما على صاحبه *جلال الدين الرومي*، وتناغما مع ما حواه الديوان من معارف استجابة لإكراهات مخصوصة، اختار العلامة بديع *الزمان النورسي* "المثنوي العربي "عنوانا للجزء السادس من رسائله الموسومة " برسائل النور".

فما سبب هذا الاختيار؟ وما هي مظاهره ؟وهل من صلة بين مضامين المثنويين؟ وما صلة المؤلفين بالمعطى الزمني (اللحظة الحضارية) بجميع مضامينه؟ وهل يرجع اختيار العنوانين إلى تشابه المعطى وتطابق المضامين؟ أم يعود إلى أمر آخر؟

هذا ما سأحاول بيانه في البحث المبيّن عنوانه أعلاه.

*أستاذ بكلية العلوم الإسلامية

أولا : فرشة البحث:

ظـــروف ولادة صاحبي المثنويين

ولد *جلال الدين الرومي* و *بديع الزمان سعيد النورسي* في جوّين متشابهين، فقد ظهرا إلى الوجود في جو هيمنة علم الكلام، ومناهجه الجدلية، ومعلوم أن جوا كهذا يفرض استعدادا معرفيا ونفسيا خاصا من منطلق أن الفكرة الفاعلة لا يمكن أن تتجاوز المعطى الزمني في صياغة خطابها، وما فاعلية فكرتيهما إلاّ بسبب انسجامهما بل وتناغمهما مع ذلك الزمن، فقد كانا على قدر كبير من تبني آلام الأمة وآمالها في محتوى الخطاب ومسلك صياغته.

1/ جلال الدين الرومي

عاش *جلال الدين الرومي* في القرن السابع الهجري[1]،و قد كانت بيئته وفق تصوّره، عهد علم الكلام الفلسفي الذي ظهر على يد *فخر الدين الرازي*(ت 606هـــ)،شغل هذا المسلك الناس وشاع فيهم الجدل، حتى صار مسلكا محكّما؛ فكان المجتمع في حاجة "إلى شخصية تستطيع أن تنفخ بقلبها الولوع وعاطفتها القوية روحا جديدة في المجتمع الذي طغى

---

[1] فقد كانت ولادته في بلخ من بلاد أفغانستان سنة (604هـ -1207م) وبالضبط في سادس ربيع الأول ، وتوفي سنة (675هـ-1273م)، عالم حنفي في الفروع، متصوّف صاحب المثنوي المشهور بالفارسية في ستة و عشرين ألف بيت، استقر في قونية سنة 626 هـ ،بعد أن أخذ العلم عن أهل بلده، تولى التدريس في قونية بعد وفاة والده(628هـ) من أشهر مؤلفاته: ديوان كبير، ومكتوبات. أنظر زجال الفكر والدعوة في الإسلام/ *أبو الحسن علي الحسني الندوي*324،دار القلم ، الطبعة السابعة،1403هـ-1983م ص333

عليه العقل على حساب العاطفة وساد الخمود، شخصية تستطيع أن تؤسس كلاما جديدا لا يصارع العقول ولا يكتفي بإفحام المجادلين بل يحل العقد النفسية والفكرية التي خلفها علم الكلام ويملأ القلب سكينة وإيمانا"[2].

تلك هي قصة ديوانه الموسوم بالمثنوي المعنوي، فقد عُدّ "الديوان"ثورة على علم الكلام الذي فقد جدته وقوته، فكان الديوان نقدا لهذا العلم والفلسفة ومناهجها ومختلف اتجاهاتها، وخاصة تلك التي جاوزت حدود الصواب إما بمبالغتها في تقديس الحواس أو العقل[3].

بيّن أن ولادة الديوان صاحبت إعراضا عن الروحيات لحساب العقليات، تاه الإنسان بعقله وسط جدل لا يُولّد إلا جدلا، فكان مسلك المثنوي الفارسي بديلا منهجيا يجمع إلى مخاطبة العقل مخاطبة القلوب في لحظة التذكير، فقد توخى صاحبه المزاوجة بين مخاطبة الوجدان والعقل، بغرض الكشف عن المسؤوليات الملقاة على عواتقنا، من أجل القيام بالعمل المترتّب على اكتشافها، وبهذا يبتعد عن التباهي والاستعراض و... بواسطة مقابلة الرأي بالرأي.

---

[2] رجال الفكر والدعوة- الندوي 324

[3] أنظر الندوي نفسه

2/ بديع الزمان النورسي:

عاش *النورسي* في القرن الثالث عشرالهجري[4] في بيئة مشابهة للبيئة التي عاصرها الرومي معرفيا وجغرافيا، فقد تميّز هذا العصر بمجموعة من الميزات نجملها فيما يأتي:

ا/ نفي وإقصاء الخطاب الإسلامي في شقه السياسي، فحُوربت كل مظاهر العودة إلى الإسلام، وقد بلغ الأمر ببعض عتاة الخصوم أن منعوا الناس من لبس الطاقية والعمة و...خشية أن يكون ذلك الزي مذكرا بالفكرة نفسها.

ب/ منع تداول العلوم الإسلامية تعلّما وتعليما، وقد ترتّب على ذلك عزوف المجتمع والتشكيك في المشتغلين بتلك العلوم، بل جاوز بعضهم ذلك بمنع المسلمين من قراءة القرآن، وفق ما ورد في وصية *غلادستون* وزير المستعمرات البريطاني.

---

[4] ولد النورسي سنة(1293هـ -1873م) من أسرة كردية،كان أبوه صوفيا ، وكانت رحلته في التحصيل عجيبة، فقد تميز بالنبوغ منذ مراحل التحصيل الأولى،وافته المنية بتاريخ 25 رمضان 1379هـ الموافق 23 من مارس(أذار) 1960م بأورفة، نبشت السلطات قبره بعد أربعة أشهر من دفنه، و حوّلت الجثة إلى مكان مجهول.

له العديد من المؤلفات باللغتين العربية والتركية، فبالعربية، ألّف: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز،والمثنوي العربي، قزل إيجاز على السلم، تعليقات في المنطق، الخطبة الشامية؛ أما باللغة التركية، فقد كتب: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات، الملاحق، صيقل الإسلام،..

أنظر كتابنا: بديع الزمان النورسي و إثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق)50/دار النسل /اسطانبول/الطبعة الأولى 2001ص52، وانظر *بديع الزمان النورسي*، نظرة عامة عن حياته وآثاره/*إحسان قاسم الصالحي*، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب 1419هـ/1999ص12 ...

وقد ولّد هذا الجو المشحون بالإرهاب الفكري وُجهات نظر مختلفة في التعامل مع الأزمة -لسنا بصدد بيانها- وبهذا الصدد يقول النورسي مبيّنا وجهة نظره في سياق الرد على شيخ الإسلام *مصطفى صبري*[5] حين سأله مبعوثه عن عدد طلابكم، فقال *النورسي* خمسمائة ألف طالب وخادم للقرآن الكريم، فقال المبعوث يقول الشيخ (صبري)...إذن لماذا لا يبدأ بجهاد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟ فقال *النورسي* مبيّنا تشخيصه لطبيعة الأزمة " بلّغ سلامي له أولا، ثم قل له إن دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان و وظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان"[6].

يرى بديع الزمان أن حقائق الإيمان مهددة، والمعركة حسب تقديره تجاوز منع الحكم الإسلامي أو المظاهر الإسلامية، إنهم يطمحون إلى قطع صلة الأمة بدينها من خلال محو الحقائق الإيمانية من القلوب. في جو كهذا نتساءل مع النورسي ما هو البديل؟

يرى النورسي أنّ المؤلفات السابقة لا تكفي لحماية الإيمان وحقائقه، لأن أغلب تلك الكتب والرسائل لا تحقق المرغوب، فقد كانت تخاطب الأفراد وخواص المؤمنين فقط، لهذا ليس بمقدورها صد التيار القوي لهذا

---

[5] - آخر شيخ إسلام في الدولة العثمانية توفي سنة 1954م، صاحب المؤلفات المنقطعة المثيل، منها موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين(04 مجلدات ضخمة)، و النكير على منكري النعمة من الخلافة والأمة، والقول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون بالغيب، وموقف البشر تحت سلطان القدر، وقولي في المرأة، ومسألة ترجمة القرآن،...أنظر كتابنا شيخ الإسلام *مصطفى صبري* آراؤه وآثاره(دراسة تحليلة نقدية)

[6] أنظر كتابنا الآنف الذكر عن النورسي69-72

الزمان، ولا أن تقاومه.من هذا المنطلق يقترح البديل المتمثّل في رسائل النور" لكونها،حسب تقديره ، معجزة معنوية للقرآن الكريم، فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة،حتى حكم كل من ينعم النظر فيها بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء "[7].

يعدّ كتاب المثنوي العربي-على تعبير النورسي- مشتل رسائل النور، فطبيعة الأزمة في فكر الرجلين هي التي حددت مضامين الكتابين ومنهج عرضهما، فالأزمة متشابهة في رأيهما، إنها هيمنة الفكر الجدلي والفلسفة المادية، وبتشابه تصورها تشابهت حلولهما المقترحة، إنها تستند إلى القرآن في بعده الروحي الذي أقصي حينا بفعل الإغراق في الدنيا أو بدافع الاستجابة للترغيب والترهيب حينا آخر.

3/ ولادة المثنويين:

يتجلى مما سبق تقريره أن المثنويين الفارسي الرومي والعربي النوري ولدا في ظروف متشابهة تتلخّص في إبعاد الروحيات والوجدانيات من الخطاب الإسلامي، وبغرض عودة الأمور إلى نصابها، ناديا معا إلى النسج وفق النسق القرآني منهجا وموضوعا وذلك بخدمة الحقائق القرآنية.

ويشهد لما ذهبنا إليه قول *النورسي*:لو كان مولانا *جلال الدين الرومي* في هذا العصر لكتب رسائل النور ولو كنت أنا في ذلك العصر

---

[7] الملاحق - *بديع الزمان النورسي*، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،الطبعة الأولى،شركة النسل للطباعة،1415هـ،1995م، ص105

لكتبت المثنوي ذلك لأن خدمة الإيمان والقرآن في عصره كانت على ذلك النمط أي بالمثنوي وأما الآن فإن الخدمة على منهج رسائل النور.[8]

ثانيا: أسباب اختيار النورسي للمثنوي:

اختار العلامة *النورسي* المثنوي عنوانا للجزء السادس وفق ترتيب المحقق من مجموع رسائله الموسومة برسائل النور، وقد مال قلبه إلى هذا الاختيار تيمّنا *بجلال الدين الرومي* صاحب *المثنوي الفارسي*، وتمييزا لكتابه الجزء السادس من رسائل النورعن كتاب الرومي،سماه "المثنوي العربي"،وواضح أن الاختياريرجع إلى عدّة معطيات يمكن تلخيصها فيما يأتي:

1/المنزلة السامية التي كان يحتلها -ومازال- *المثنوي الرومي* المؤلّف باللسان الفارسي في قلوب المسلمين وعقولهم على مرّ الزمان، وقد عبّر عن تلك الفكرة العلاّمة *النورسي* بقوله عن نفسه: "فألّف *النورسي* بالعربية ما هو بحكم المثنوي الشريف الذي هو أصلا بالفارسية رسائل عدة في أوجز العبارات وكلما سنحت له الفرصة أقدم على طبعها وهي : "قطرة، حباب، حبة، زهرة، ذرة، شمة، شعلة، ودروس أخرى" [9]، وقال أيضا: " نسأل الله أن يجعل هذا المؤلّف النفيس بمثابة المثنوي (الرومي) لطلاب النور، إذ هو خلاصة قيّمة لرسائل النور وفي حكم فهرس يبشر

---

[8] سيرة ذاتية- *بديع الزمان النورسي*- إعداد إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى،مطبعة سوزلر-اسطانبول، ص 538

[9] - المثنوي العربي- بديع الزمان النورسي ، تحقيق إحسان قاسم الصالحي،الطبعة الرابعة، طبع شركة سوزلر للطباعة،اسطانبول، 1420هـ،1999م ص 31 .

بقدومها ويشير إشارة مستقبلية إليها، تلك الرسائل التي ظهرت بعد عشر سنوات واكتملت في غضون ثلاث وعشرين سنة.[10]

2/كان الهدف من المثنوي الرومي تجديد الإيمان وترسيخه في القلب وبعثه في المجتمع، بما يحقق مقاصده الاجتماعية والحياتية بصفة عامة[11]،وتناغما مع هذا المقصد سمى *النورسي* كتابه المثنوي العربي.يشهد لهذا الفهم قول أحد الباحثين نقلا عن النورسي نفسه: فعل هذه الرسائل في القلب والعقل والروح والنفس يشبه فعل المثنوي لجلال الدين الرومي المشهور والمتداول بين أوساط الناس ولا سيما في تركيا، وإن عمله في تجديد الإيمان وترسيخه في القلب وبعثه الروح الخامد في النفوس يشبه "المثنوي الرومي" فقد سماه الأستاذ النورسي بـــ "المثنوي".[12] يقول النورسي في سياق الحديث عن رسائل النور: " بل أصبحت رسائل النور شبيهة بمجموعة كلية واسعة من "المثنوي" تنقذ الحيارى المحتاجين وتنتشل المنساقين إلى الضلالة من أهل الفلسفة"[13].

3/ سمى *النورسي* كتابه المثنوي العربي بغرض تمييزه عن المثنوي الفارسي وهذا بالنظر إلى لسان التأليف. فكان اسمه "المثنوي العربي" وأضاف إليه نسبة الكتاب إلى مؤلفه فقال بالإضافة إلى ما سلف "النوري" نسبة إلى النورسي أو رسائل النور، فأصبح العنوان وفق ما هو مبيّن على الدفة

---

[10] – اللمعات – *بديع الزمان النورسي*، ترجمة الصالحي ، الطبعة الأولى، شركة نسل اسطانبول،1413هـ،1993م ص834 .

[11] – رجال الدعوة *أبو الحسن علي الحسن الندوي* ، الجزء الأول

[12] المثنوي العربي– النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي ص 8

[13] المصدر السابق 31

الأولى منه: "المثنوي العربي النوري"، مقابل "المثنوي الفارسي المعنوي".يؤكد هذا المعنى قول محقق الرسائل "ولأجل تمييزه عن "المثنوي الرومي" الذي كُتب بالفارسية سماه "المثنوي العربي صاحبها".[14]

4/ تعد رسائل النور امتدادا للمثنوي الفارسي، لهذا اختاره *النورسي* عنوانا للمجلد السادس من رسائله، يقرر هذه الحقيقة محقق تراثه *إحسان قاسم الصالحي* حين قال مبيّنا لذلك المعنى: "و لأنه أساس لرسائل النور وغراس لأفكارها ومسائلها أضيف إليه "النوري" فأصبح الكتاب يحمل عنوان : "المثنوي العربي النوري"[15].

5/ اعتبر *النورسي* كتابه المثنوي العربي المثنوي الثاني أو قل النسخة العربية من المثنوي، قال النورسي: "إنك ترى في ثاني"المثنوي"،أعني تلك المجموعة العربية،من المسائل و الحقائق الدقيقة التي من شأنها أن يكون كل منها موضوعا لرسالة..."[16].

ثالثا: منزلة المثنوي بين رسائل النور:

1/ يعد كتاب " المثنوي العربي" نواة رسائل النور، وغرسا لها يخلّص الناس حسب رأي مؤلفه، من شبهات الشياطين من الإنس والجن؛ ولا يخفى أن تلك المعلومات في حكم المشهودات وأن يقين العلم كعين اليقين يورث القناعة ويوجب الاطمئنان التام.[17]

---

[14] المصدر نفسه

[15] المصدر نفسه

[16] المصدر السابق 33

[17] أنظر المثنوي 31(بتصرف)

2/ اعتبر النورسي المثنوي العربي مشتل رسائل النور وغراسها، وقد سعى بالطرق الخفية إلى المعرفة الإلهية في تطهير الأنفس والداخل من الإنسان فوفّق إلى فتح الطريق للروح والقلب، ومن ثمّ عدّت رسائل النور بستانه اليانع[18].

رابعا: مظاهر الاهتمام بالرومي:

احتفل *بديع الزمن بجلال الدين الرومي* احتفالا كبيرا بحيث تعددت مواضع ذكره ومواضيع الاستفادة منه، فقد نقل عنه في مجموع مؤلفاته. نرى هذا الأمر جليا واضحا في كتابه" المثنوي العربي" وبالدرجة نفسها في سائر المؤلفات بوصفها غراس هذا الكتاب وفق ما صرّح بها النورسي نفسه.

1/ مظاهره في المثنوي العربي:

أ/ نقل *بديع الزمان* في سياق خاتمة "في مسائل مشهودة متفرقة " نقلا حرفيا عن *جلال الدين الرومي*، استهله بقوله: "اعلم إني أقول ما دمت حيا، كما قال مولانا *جلال الدين الرومي* قدّس سره:

من بندهء قرآنم اكر جان دارم من خاك راه محمد مختاره م

أي: ما دمت حيا فأنا خادم القرآن وأنا تراب سبيل محمد المصطفى." ويستأنف الكلام معلّقا على البيت فيقول: "لأني أرى القرآن منبع كل الفيوض وما آثاري من محاسن الحقائق ما هو إلا من فيض القرآن، فلهذا

---

18 المصدر السابق 32

لا يرضى قلبي أن يخلو أثر من آثاري من ذكر نبذ من مزايا إعجاز القرآن..."[19]

2/ ورد عن النورسي في الرسالة الثانية عشرة " الرسالة القيّمة" الموسومة "نقطة" من نور معرفة الله جل جلاله وخاصة في سياق الحديث عن البرهان وبالضبط في مقام الإجابة عن سؤال طرح عليه مفاده ما ترى في وحدة الوجود.

يبدأ جوابه بديباجة، حول بيان الفروق بين نظرة الفلاسفة الماديين والمفكرين من مذهب وحدة الوجود وخلاصة ذلك خمسة فروق:

الفرق الأول: أن علماء الصوفية قد حصروا نظرهم في "واجب الوجود" واستغرقوا في التأمل فيه بكل قواهم حتى أنكروا وجود الكائنات ولم يعودوا يرون في الوجود إلا هو؛ أما الفلاسفة الماديون فقد صرفوا كل تفكيرهم ونظرهم في المادة حتى ابتعدوا عن إدراك الألوهية بل أولوا المادة أهمية عظيمة حتى جعلتهم لا يرون من الوجود إلا المادة بل تمادوا في الضلالة بحيث مزجوا الألوهية في المادة بل استغنوا عنها لشدة حصرهم النظر في الكائنات.

الفرق الثاني : أن ما لدى الصوفية من وحدة الوجود تتضمن وحدة الشهود في حين ما لدى الآخرين وحدة الموجود.

الفرق الثالث: أن مسلك الأولياء مسلك ذوقي بينما مسلك الآخرين مسلك عقلي.

---

[19] المثنوي العربي 156

الفرق الرابع: يحصر الأولياء نظرهم في الحق تعالى ثم ينظرون نظرا تبعيا ثانويا إلى المخلوقات بينما الآخرون يحصرون نظرهم أولا وبالذات في المخلوقات.

الفرق الخامس: أن الأولياء عباد الله ومحبوه بينما الفلاسفة الماديون يعبدون أنفسهم وهواهم، فأين الثرى من الثريا وأين الضياء الساطع من الظلمة الدامسة.

ولبيان مجموع تلك الفروق، ينتقل الشيخ إلى نكتة بعنوان"تنوير" يقول فيها:لو افترض مثلا أن الكرة الأرضية قد تشكّلت من قطع زجاجية صغيرة ومختلفة الألوان، فلا شك أن كل قطعة ستستفيض من نور الشمس حسب تركيبها وجرمها ولونها وشكلها. فهذا الفيض الخيالي ليس الشمس بذاتها ولا ضياؤها بعينه، فلو نطقت ألوان الأزهار الزاهية المتجددة والتي هي تجليات ضياء الشمس وانعكاسات ألوانه السبعة، لقال كل لون منها:إن الشمس مثلي أو إن الشمس تخصّني أنا. ولتوضيح هذا المعنى يستعير من *جلال الدين الرومي* بيتا بلغته الفارسية يقول فيه:

آن خيالاتى كه دام اولياست عكس مهروبان بستان خداست

ومعناه إن الخيالات التي هي شباك الأولياء إنما هي مرآة تعكس الوجوه النيرة في حديقة الله.

وينهي كل ذلك بالميل عن أهل وحدة الوجود إلى أهل وحدة الشهود لأن مشرب أهل وحدة الشهود هو الصحو والتمييز والانتباه، بينما مشرب

أهل وحدة الوجود هو الفناء والسكر، والمشرب الصافي هو مشرب الصحو والتمييز"[20]

2/مظاهر الاهتمام بالمثنوي الفارسي في سائر كتبه:

ما دامت رسائل النور بمثابة غراس المثنوي الفارسي ونسخته الثانية العربية، يحق لنا من الناحية المنهجية بيان موارد الاهتمام به في ثنايا سائر الرسائل وإن دُوّن بعضها باللسان العثماني وفي هذا المقام سننقل بعض مظاهر الاهتمام به في سائر الرسائل وسنذكرها وفق ترتيب المحقق لها:

أ/ كتاب الكلمات(المجلد الأول من رسائل النور)

ورد عنه في الكلمة السابعة عشرة في ثنايا بيان الصلة القلبية التي تربطه بجلال الدين الرومي، فقد مثله عاشقا متيّما بمحبوبه كأنه يسمع ترانيم وأنغام التسبيحات الكونية من كل جهة، يشهد لهذا قوله:" فتلك البنايات مؤثرة الأنغام صافيتها، إذ تخرج أصواتاً لطيفة كأنها منبعثة من موسيقى سماوية علوية، فلا يسمع الفكر منها شكاوى آلام الفراق والزوال كما يسمعها كل العشاق وفي مقدمتهم (مولانا *جلال الدين الرومي*) بل يسمع أنواع الشكر للمنعم الرحمن وأنواع الحمد تقدم إلى الحي القيوم."[21]

ب/ كتاب المكتوبات (المجلد الثاني من رسائل النور)

---

[20] أنظر المثنوي العربي 419-434

[21] الكلمات بديع الزمان النورسي، الطبعة الثالثة، دار سوزلر للطباعة، اسطانبول، 1419هـ،1998 م ،ص245

ذكر في المكتوب السادس أنّه تلميذ *جلال الدين الرومي* ويصرّح بأستاذيته، مرددا قوله، متبنيا آراءه، منساقا لها، قال النورسي: "وقلت كما قال أحد أساتذتي مولانا جلال الدين الرومي مخاطباً نفسه:

او كفت"ألست" وتو كفتي"بلى" شكر"بلى" جيست ؟ كشيدن بلا

سرّ بلا جيست كه يعني منم حلقة زن دركه فقر وفنا

ومعناها: لمّا قال سبحانه:" ألست بربكم" قلت "بلى"،فأين الشكر على قولك بلى؟ إنه مقاساة البلاء،أتدري ما سر البلاء؟ إنه طرق باب الفقر والفناء في الله. وتناغما مع شيخه، يتساءل النورسي:"أتدري ما سر البلاء؟ إنه طرق باب الفقر والاستغناء عن الناس". وحينئذ قالت نفسي:"أجل، أجل، إن الظلمات لتتبدد وباب النور لينفتح بالعجز والتوكّل و الفقر والالتجاء، فالحمد للّه على نور الإيمان والإسلام[22]".

ج/ كتاب اللمعات (الجزء الثالث من رسائل النور)

ضمّن اللمعة الحادية عشرة وخاصة النكتة السابعة منها، الاستشهاد بقاعدة مستفادة من أدبيات *جلال الدين الرومي* يقول فيها:

بي أدب محروم باشد أز لطف رب

وقال النورسي: نعم فمن يمعن النظر في السيرة النبوية ويحيط علما بالسنة المطهّرة، يدرك يقينا أن الله سبحانه وتعالى قد جمع أصول الآداب و قواعدها في حبيبه، فالذي يهجر سنته المطهرة ويجافيها فقد هجر منابع

---

[22] المكتوبات /النورسي، ترجمة إحسان، ط1،دار سوزلر للنشر اسطانبول ، 1413هـ،1992م،ص31

الأدب وأصوله، فيحرم نفسه من خير عظيم ويظل محروما من لطف الرب الكريم ويقع في سوء أدب وبيل ويكون مصداق القاعدة المستفادة من كلام الرومي" بي أدب محروم باشد أز لطف رب"[23].

ينتصر النورسي *لجلال الدين الرومي* مفضّلا إياه عن أهل وحدة الوجود باعتباره أحد ممثلي التصوّف الشهودي، عنوان أهل وحدة الشهود، لأنه مسلك البساطة واليسر. صرّح *بديع الزمان* بهذا المعنى في قوله: " نعم! إن من يتكلم عن وحدة الوجود عليه أن يُعرج فكراً من الثرى إلى الثريا تاركاً الكائنات وراءه ظهريا، محدقاً بنظره إلى العرش الأعلى، عاداً الكائنات معدومة في حالة الاستغراق، فيمكنه أن يرى بقوة الإيمان أنّ كل شئ من الواحد الأحد سبحانه مباشرة، وإلا فإن من يقف وراء الكائنات وينظر إليها ويرى الأسباب أمامه وينظر من الأرض، فإنه يحتمل أن يغرق في تأثير الأسباب ويقع في مستنقع الطبيعة، بينما الذي يعرج فكراً إلى العرش كجلال الدين الرومي يستطيع أن يقول: "افتح سمعك فإنك تستطيع أن تسمع من كل أحد، كأنه حاك فطري، ما تسمعه من الحق تعالى"، وإلا فمن لا يستطيع العروج مثله إلى هذه المرتبة الرفيعة ولا يرى الموجودات من الفرش إلى العرش على صورة مرايا (لتجلياته) إن قلت له[24].

يبيّن *بديع الزمان* في كتاب اللمعات منزلة المثنوي المعنوي في قلبه ولما لذلك الكتاب من مكانة في عقله وقلبه ويسأل الله أن يجعل هذا المؤلّف

---

[23] اللمعات 87

[24] اللمعات 444

النفيس بمثابة المثنوي الرومي لطلاب النور، إذ هو خلاصة قيمة لرسائل النور وفي حكم فهرس يبشر بقدومها ويشير إشارة مستقبلية إليها، تلك الرسائل التي ظهرت بعد عشر سنوات واكتملت في غضون ثلاث وعشرين سنة.[25]

د/ كتاب الشعاعات(الجزء الرابع من رسائل النور)

ينقل عن *جلال الدين* في الشعاع الثاني المقام الأول الثمرة الأولى وفي سياق شرح ما روي عن النبي ﷺ "***أفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا الله***" و لهذا المعنى مرويات منها ما رواه أبو عيسى الترمذي في سننه ، نقل فيه قول النبي ﷺ "***خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ***[26]"

و يختم بديع الزمان تعليقه على الحديث قائلا: يُظهر سر التوحيد حسناً سرمدياً باقياً من خلال ذلك الجمال الفاني الموقت. بمعنى أن ذلك الشيء الجزئي يتحول بسر التوحيد إلى مرآة الجمال الإلهي، مستشهدا بهذا الصدد بقول جلال الدين، والعبارة نفسها تؤكد منزلة الرجل في قلبه وأدبه.

و ينقل في مقام التأسيس لتلك الحقيقة صيغا تدل بنفسها على صلة القربى المعرفية والعرفانية التي تربطه *بجلال الدين*،فيقول مؤسسا:..." كما قال مولانا *جلال الدين الرومي* إن الخيالات التي هي شباك الأولياء إنما هي مرآة عاكسة تعكس الوجوه في حديقة الله. "

---

[25] اللمعات 834

[26] قال أبو عيسى الترمذي في سننه هذا حديث غريب من هذا الوجه

آن خيالاتي كه دام أولياست عكس مهرويان بوستان خداست

يستعمل بديع الزمان الألفاظ نفسها في التعبير عن مكنونات نفسه بقوله:"...يظهر التوحيد في ذوي الحياة تلك الثمار المتدلية من شجرة الخلقة،شخصية إلهية،و أحدية ربانية،وسيماء معنوي رحماني"[27].

هـ/ كتاب الملاحق (الجزء السابع من رسائل النور)

ذكر في ملحق أميرداغ[28] أن رسائل النور، خاصة بما ورد في الجزئين الثالث الموسوم باللمعات، والسادس الموسوم في المثنوي العربي، تشبه إلى حد بعيد المثنوي الرومي بما تضمّنته من أدب رفيع. قال النورسي:" شاهدنا أن هذه الرسالة "اللوامع" هي بمثابة بذور ونوى لقسم مهم من رسائل النور، حيث تضم حكماً بليغة موجزة تحمل في طيّاتها حقائق اجتماعية عظيمة وردت بأسلوب سهل ممتنع لا يمكن تقليده وبشكل منظوم كالمنثور، لم يوفق إليه أديب ولا مفكر، فيقرأها القارئ بسهولة ويسر منثوراً من دون أن يورد إلى خاطره النظم. وقد ألّفتْ في عشرين يوماً من أيام شهر رمضان المبارك بالعمل ساعة أو ساعتين يومياً وذلك قبل سبع وثلاثين عاماً. وهي من ناحية الأدب شبيهة بالمثنوي الرومي".[29]

يبيّن في ملحق أميرداغ أنّ للرومي منزلة سامية في سلم السلوك والترقي الروحي لأن الحقيقة عينها والأدب المحض والاحترام اللائق هو أن يحصل

---

[27] الشعاعات /النورسي،تر إحسان،ط1، دار سوزلر للنشر اسطانبول،1414هـ،1993م ، ص11

[28] وضع الشيخ بديع الزمان تحت الإقامة الجبرية سنة 1944 في أمير داغ قضاء تابع لولاية آفيون من المدن التركية.أنظر بديع الزمان سعيد النورسي-نظرة عامة عن حياته وآثاره- /إحسان قاسم الصالحي ص 99

[29] الملاحق 340

ما حصل للأفذاذ من أمثال *جلال الدين الرومي* بالسمو الروحاني، بالسير والسلوك، إلى مرتبة القربة لأولئك الأشخاص السامين والاستفاضة منهم.[30]

و / كتاب صيقل الإسلام(الجزء الثامن من رسائل النور)

أورد شيخنا عمل جلال في مقام التأسيس لعدم مؤاخذة المتكلّم فيما يتكلّم من الكلام بكل ما يرد إلى ذهن السامع بسبب أن المفاهيم والمعاني هي عهدة المتكلم بالإرادة، فإن لم يردها لا يعاتب إلا أنّه ضامن حتما بالعرض والقصد بدليل أنّك لو أدمت النظر في المثال والأمثال الافتراضية، ترى أن تلك الأمثال لها بالشهرة في مداولة الأفكار والعقول قيمة وقوة حتى أنها تستعد للقيام بمهمة السفارة بينها، بل إن أصدق مؤلف وأعلم حكيم كصاحب المثنوي *جلال الدين الرومي* و*سعدي الشيرازي* يستخدمان ذلك المثل الافتراضي، ولم يريا مشاحة وبأساً في استعماله.[31]

ز/ كتاب سيرة ذاتية (الجزء التاسع من رسائل النور)

يرى الشيخ أنه سار على منهج صاحب المثنوي المعنوي، فقد كان مثله في سلوكه مسلك المكابدة ومعاناته في دفع الشكوك، فقطع المقامات وطالع ما فيها وذلك بفتح أبصار قلبه وروحه وعقله، فسار في المقامات ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، منفتحةً من غير غضٍ، مبتعدا به عن منهج أهل الاستغراق الذي مبناه غض الأبصار.[32]

---

[30] المرجع نفسه 390

[31] صيقل الإسلام/النورسي،ترجمة إحسان، ط1، دار سوزلر للنشر اسطانبول، 1416هـ،1995م،ص 58

[32] سيرة ذاتية 168-بتصرف-

أستاذية الرومي في السير: لقد كان النورسي في سياحته وسلوكه، ذلك السلوك في تلك المقامات، ساعياً بالقلب تحت نظارة العقل وبالعقل في حماية القلب كأئمة السلوك *الغزالي والرباني* و*جلال الدين الرومي*؛ فبادر *بديع الزمان*، كما يقول، إلى ضماد جراحات قلبه وروحه وخلّص نفسه من الوساوس والأوهام. وبخلاصه منها انقلب سعيد القديم إلى سعيد الجديد، فألّف بالعربية ما هو بحكم المثنوي الشريف ، الذي هو أصلاً بالفارسية، رسائل عدة في أوجز العبارات. وكلما سنحت له الفرصة أقدم على طبعها، وهي: قطرة، حباب، حبة، زهرة، ذرة، شمة، شعلة ودروس أخرى مع رسالتين بالتركية وهما: لمعات ونقط. وبيّن ذلك المسلك في غضون نصف قرن من الزمان في رسائل النور التي لم تقتصر على جهاد النفس والشيطان، بل أصبحت شبيهة بمجموعة كلية واسعة من المثنوي تنقذ الحيارى المحتاجين وتنتشل المنساقين إلى الضلالة من أهل الفلسفة.[33]

يعتبر النورسي الأستاذ الرومي إمام العشّاق الذي تظهر موسيقاه المتناغمة في أنغامها وكلماتها، ساعية إلى خدمة حقيقة محددة؛ فقد كانت تلك النايات مؤثرة الأنغام صافيتها، إذ تخرج أصواتاً لطيفة كأنها منبعثة من موسيقى سماوية علوية... إلى أن يقول بديع الزمان: فلا يسمع الفكر منها شكاوى آلام الفراق والزوال، كما يسمعها كل العشّاق وفي مقدمتهم مولانا *جلال الدين الرومي* بل يسمع أنواع الشكر للمنعم الرحمن، وأنواع الحمد تقدم إلى الحي القيوم[34].

---

[33] سيرة ذاتية 169

[34] سيرة ذاتية 230

إن رسائل النور، حسب رأي صاحبها، ليست إلا نسخة جديدة من المثنوي الرومي لأنه كما قال النورسي، لو كان مولانا *جلال الدين الرومي* في هذا العصر لكتب رسائل النور ولو كنت أنا في ذلك العصر لكتبت المثنوي، ذلك لأن خدمة الإيمان والقرآن في عصره كانت على ذلك النمط أي بـــ(المثنوي) وأما الآن فان الخدمة على منهج رسائل النور.[35]

يتبع

[35] سيرة ذاتية 538